(( **سبقك بها عكاشة** ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

(( الأولى ))

سبقك بها عكاشة

يجلس رسول الله مع أصحابه فيأخذ بمجامع قلوبهم إلى أهوال يوم القيامة، وحال الأنبياء في ذلكم اليوم العظيم، ثم يفاجئهم بهذا العرض الرهيب «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»

كلمات يسيرة في مبناها ؛ لكنّها هزّت قلوب أصحاب رسول الله فتحرّكت المشاعر ، وثارت الأشجان ، وشمّرت النفوس إلى هذا العرض النبوي العظيم ،

سَبْعُونَ أَلْفًا يدخلون الجنة بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عذاب ، في يوم الحسرة ، والندامة ، في ذلكم اليوم العظيم الذي تشيب فيه مفارق الولدان ، ويفر المرء من أخيه ، وأمّه ، وأبيه ، وإذا بسبعين ألف يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب ، إنّ هذا لهو العرض الكبير ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﭼ ، فبات أصحاب رسول الله يدوكون ليلتهم .

يا ترى من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ، وإذا برسول الله يحسم الموقف فيقول: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، وإذا بالصحابي الجليل السابق بالخيرات عُكَّاشَة بْنِ مِحْصَنٍ، يقول يا رسول الله: " ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، وإذا بالوحي يتنزل من السماء مبشّراً عكاشة بن محصن بانضمامه لهذه الزمرة التقية النقيّة ، فَقَالَ : «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» . متفق عليه .

إنها فرص ومنح ، تعبر وتمر ، في حياة الناس ، يغتنمها قليل فيغنمون ويسعدون ، ويغفل عنها الكثير فيندمون ويتحسرون ، فالحياة فرص وغنائم ، ونبينا يقول لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ . رواه الحاكم من حديث ابن عباس .

من هنا كان أصحاب رسول الله يرون القرب والطاعات فرصاً لا تعوّض .

يحدّث عمر فيقول : يسْمُرُ رسول الله

عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَأَنَا مَعَهُ فَخَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ وَخَرَجْنَا مَعَهُ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المَسْجِدِ فَقَامَ رَسُوْلُ اللهِ يَسْمَعُ قِرَاءتَهُ فَلَمَّا كِدْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ : "من سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ" قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ يَدْعُو فَجَعَلَ رَسُوْلُ اللهِ يَقُوْلُ لَهُ: "سَلْ تُعْطَهُ ، سَلْ تُعْطَهُ" قال عمر : فَقُلْتُ: وَاللهِ لأَغْدُوَنَّ إِلَيْهِ فَلأُبَشِّرُهُ قَالَ: فَغَدَوْتُ فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي.

سير أعلام النبلاء (290/3) .

ثم تأمل هذ الموقف يقول عمرُ : " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، لقد كان عمر يعيش همّاً كيف يسبق أبا بكر ؟ وجاءت الفرصة فأخذ فأجزل في العطاء، ودفع نصف ماله إلى رسول الله ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ وعمرٌ ينظر ، يا ترى ما هو العطاء الذي سيبذله أبو بكر ، وإذا بالنبي ينظر إلى عطاء أبي بكر فيقول : ما أبقيت لأهلك؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله، أما المال فقد أتيت به جميعا لم يأتي أبو بكر بنصف المال ولا بثلث المال أتى بالمال كله، فما كان من عمر إلا أن قال كلمته المشهورة: لا جرم لا سابقت أبا بكر أبداً.

لقد كان أبو بكر يعيش حالةً من الاستنفار في طلب الآخرة فلا يدع فرصة من الخير إلا سارع إليها.

وها هو النبي يجلس في صبيحة يومٍ من أيام الله فيطرح الأسئلة التالية فيقول:

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا،

قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟»

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا،

قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟»

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا،

قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه مسلم (1028) .

كل هذا في صبيحة يوم واحد ، وحاله يقول :

فَأَكْثِرْ أَخِي دَوْمَاً مِنْ الخَيِــرِ إِنَهُ

هُوَ النُّورُ فِي القَبْرِ لِمَنْ مَاتَ يَحْصُلُ

سَتَرْقُدُ فِي قَبْـــــرٍ وَتَلْتَحِفُ الثَرَى

فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْسَى وَإِيَّاكَ تَغْفُلُ

يحدث النبي أصحابه عن أبواب الجنة الثمانية فيقول : " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» متفق عليه .

إنّها الهمة العالية ، إنّها النّفوس التوّاقة .

وإذا كانَتِ النّفُوسُ كِباراً

تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ

ثم تأمل إلى صورةٍ أخرى من صور التنافس الجادّ في طلب الآخرة ، يعرض رسول الله في يَوْمِ أُحُدٍ سيفه صلتاُ ويقول: «مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟»

فتشرئب الأعناق، وتمتد الأكف، ويتسابق أصحاب رسول الله على ماذا ؟

على طعم المنية أن يذيقوها، وكأس الموت أن يشربوها، فأخذ السيف أبو دجانة ، ثمّ أَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: أَخْرِجْ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إذَا تَعَصَّبَ بِهَا. فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي

وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

أَلَّا أَقَوْمَ الدَّهْرَ فِي الْكَيُّولِ

أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

لقد كان التنافس في الآخرة هماً في القلوب ، وحديثاً على الألسنة فيولد الصبي ، ويترعرع الفتى وهو لا يسمع إلا ما يستحذّ همته على المسارعة إلى الخير والتنافس في الطاعة.

يُعرضُ الفِتْيَانُ على النبي يوم أحد فيرد صغارهم ممن كان في الثانية عشر ، والثالثة عشر، فليس في أبدانهم قوة للمعركة ؛ ولكنه يستثنى من هؤلاء الصغار رافع ابن خديج ؛ لأنه كان رامياً فاستثناه مع صغر سنّه، فأتى الغلام سمرة بن جندب إلى النبي محتجّاً على هذا الاستثناء ، يا رسول الله كيف استثنيت رافعاً وأنا أقوى منه ، والله لو صارعْتُهُ لصَرَعْتَهُ فأذن لي يا رسول الله أن أصارعه تصارعا ، فصرع سمرةٌ رافعاً فشمل سمرة الاستثناء وشارك في المعركة.

فتيان في غضاضة السن ، وحداثة العهد ، وشباب الشباب ، وصبوة الصبا يتنافسان في ماذا ؟ في الضرب بالسيوف ، في القتل في سبيل الله ، في المسارعة إلى الخيرات بل حتى وصل الأمر في النساء فتقول عائشة < : يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟ لقد اشتاقت عائشة < إلى ذوق طعم السيف والقتال في سبيل الله فيقول : قَالَ: " نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ " رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني في الإرواء (981).

بل كانت الغصص تنعقد في الحناجر ، والدموع تنهمر من العيون ، لا ؛ لأن حظاً من الدنيا فات ، ولا لأن قريباً أو حبيباً مات ؛ ولكن لأن فرصة من فرص البذل والعطاء قد فاتت فلم يسعدوا ، ولم يسابقوا بالمشاركة فيها، فلذا تحزن القلوب وتفيض العيون ، ويعظم التحسر والألم.

جاء سبعة نفر إلى النبي وهو متّجه إلى تبوك لمقاتلة الروم جاءوا يعرضون على رسول الله أنفسهم ودماءهم، وهم يقولون بلغة الصدق والإيمان: يا رسول الله أحملنا معك، أحملنا معك إلى هذه المعركة، نحن لا نملك مالاً ولا مركباً لكننا نملك أغلى من ذلك كله، نملك الدم والروح وسنبذله في سبيل الله أحملنا معك، وكان الجواب شديداً على قلوبهم لا أجد ما أحملكم عليه، كلمة صدمت آمالهم وبددت أحلامهم، لا أجد ما أحملكم عليه، فرجعوا رجعوا بنفوس كسيرة، رجعوا بقلوب ذليلة وأعين باكية تفيض من الدمع حزناً، حزناً أن الدم لم يسفك، والبدن لم يمزق، حزناً أن الروح لم تزهق، حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، ويأبى الله إلا أن يسطر هذا المشهد في كتابه فجاءت تحيتهم من السلام :

ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ التوبة: ٩٢

وحفظت السنّةُ ثوابَهُم فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ» رواه البخاري رقم 4423.

لقد كان ذلكم الجيل ينظر إلى فرص الخير على أنها فرصة تسنح وسبحان ما تغلق ، ثم ما أسرع أن تتعدى الكسالى أصحاب الهمم الفاترة .

يستمع أبو الدحداح إلى النبي وهو يتلو قول الله تعالى : ﭽ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﭼ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاح)) ، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي - وَفِي حَائِطِهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ، فَقَالَ: يَا أمَّ الدَّحْداح وَهِيَ فِي الْحَائِطِ ، فَقَالَتْ: لَبَّيْك. فَقَالَ: اخْرُجِي، فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي عَزَّ وجل، ثم قال :

بيني من الحائط بالوداد \*\*\* فقد مضى قرضاً إلى التناد

أقرضته الله على اعتمادي \*\*\* بالطوع لا من ولا ارتداد

إلا رجاء الضعف في المعاد \*\*\* ارتحلي بالنفس والأولاد

والبر لا شك فخير زاد \*\*\* قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح < : ربح بيعك ! ،

ثم أجابته أم الدحداح:

بشرك الله بخير وفرح

مثلك أدى ما لديه ونصح

قد متع الله عيالي ومنح

بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله قد كدح

طول الليالي وعليه ما اجترح

فقال رسول الله : (كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ !) رواه أحمد والحاكم .

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

(( الثانية ))

هل تذكرون غزوة بدر الخالدة ؟

يوم أشرف الله على أصحابها بذاته العليّة فقال: يا أهل بدر اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ، وفي رواية : فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ . متفق عليه .

وكانت فرصة لم يدركها أحدٌ من بعدهم ، حتى قال أنس بن النضر معلقاً على هذا الثواب العظيم الذي فاته يوم بدر ، فقال : «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ أَشْهَدَنِي اللَّهُ قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، - يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ

عباد الله بعد هذه المشاهد العجيبة لذلكم الجيل الذي فتح الفتوحات .

ذلكم الجيل الذي صنع العجائب والمعجزات .

آن الأوان لنتساءل عن حالنا مع المسارعة في الخيرات ، والمسابقة في الصالحات .

فيا ترى ما هو الهمّ الذي يعلو على قلوبنا ؟

حقّاً لقد ابتلينا بالتسابق، والتنافس، ولكن إلى ماذا؟

إلى عروض زائفة ... إلى متاجر كاذبة ...

إلى دنيا فانية ...

تذكروا ماذا أحدثت عروض بنده في نفوسنا ؟

كيف خرج الناس إليها يهرعون ؟

ومن الصباح الباكر يتسابقون ويتدافعون ، وعبر وسائل التواصل يتراسلون ، والله يا قوم حاشا أن أحرم على عباد الله ما أحل الله ، لكن ما رأيناه وسمعناه يكشف عن فساد في قلوبنا، وهلع وجشع في نفوسنا، يا سكان الحرم حدثوني عن حالنا مع عروض الأخرة نحن في فصل الشتاء في أيام الغنائم

وأبو هريرة يقول : " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى الْغَنِيمَةِ الْبَارِدَةِ : قُلْنَا وَمَا ذَلِكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ " وابن مسعود يقول: مرحبا بالشتاء تنزل فيه البركة ،ويطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النّهار للصيام ، حدثوني يا سكان الحرم عن حالنا مع هذا العرض السخي المفتوح؟

فالشتاء غنيمة باردة نزلت بنا من غير قتال ولا مشقة، الشتاء غنيمة حلت بنا في أرض الحرم عند البيت العتيق ، لم ينزل الشتاء بنا في الموصل ، ولا في حلب ، لم ينزل الشتاء بنا وسط صقيع البرد ، لم ينزل بنا وسط قصف الطائرات ، وإسقاط المتفجرات ، وقذائف الدبابات ، فما حالنا مع هذا العرض ؟ ففي ليل الشتاء الطويل يصيب المؤمن حظه من اللّيل بالقيام ، وحظّه من النّهار بالصيام، كان عبيد بن عمير إذا جاء الشتاء يقول: يا أهل القران طال ليلكم لقراءتكم فاقرؤوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا.

فشتان والله بين من يغتنمون ليل الشتاء الطويل بالقيام والدعاء والبكاء وبين من يبيت لاهيا غافلا ثم يغط في نوم عميق مضيعا أنفس أوقات حياته، شتان ثم شتان بين من يبت ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱﯲ ﭼ الزمر: ٩ لا يستون والله مع أقوام غافلين وفي السهر القاتل ساقطين يقطعون ليلهم في سمر وسهر ضره أقرب من نفعه مع إغراقٍ مهلكٍ في مباحاتٍ لا تسلم من فحشٍ وإثم .

أخي ليحاسب كل منا نفسه كم ليلة قامها في هذا الشتاء الطويل ؟

كم يوم صامه في هذا النهار القصير؟

إننا والله لم نحرم قيام الليل وصيام النهار إلا بذنوبنا وإسرافنا على أنفسنا

بكى معاذ عند موته، وقال : إنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

أخي ألا تخشى أن تكون ممن قال الله فيهم ؟

ﭽ **ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ** ﭼ التوبة: ٤٦